المقاربة الاثنوغرافية، تعريفها، مميزاتها تقنياتها، وعلاقتها بدراسات الجمهور

أ. مريم دهان
جامعة الجزائر 03

ملخص:

نظرا للإهتمام الكبير الذي تحظى به المقاربة الإثنوغرافية "في حقول بحث علوم الإعلام والاتصال عامة"، وفيما يتعلق "بدراسات الجمهور خاصة". وبالنظر أيضا، لنوع من العجز الذي سجلته المقاربات الكمية في إعطاءها الفهم الدقيق للظواهر المدروسة، جعل الكثير من الباحثين يلجؤون إلى استعمال المقاربة "الاثنوغرافية". ورغم أن هذا المقترب براغماتي بالدرجة الأولى، لكونه يأخذ بعين الاعتبار فقط المصادر المتوفرة، والمعطيات وسياقاتها في إطار تلقي الرسائل الإعلامية لفعل فردي واجتماعي، ووصف أفعال وسلوكيات المبحوثين، وعلاقاتهم بالتكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال، إلا أنه يركز تركيزا شديدا على فهم السلوك في سياق اجتماعي ومحاولة التعرف على دلالات لمختلف التأويلات الناتجة عن استخدام هذه التكنولوجيات، وذلك عبر مشاركة الباحث في الوضعية المدروسة مشاركة فعالة، ضمن الفريق موضوع الدراسة. حيث يوفر المقترب الاثنوغرافي تقريرا وصفيا مستعملا مجموعة من الأدوات المنهجية في مقدمتها المقابلات الودية غير الرسمية والملاحظة بالمشاركة كما سنشير إليها لاحقا. لذا ارتأينا تسليط الضوء في هذا المقال على هذا النوع من الدراسات المهمة، وذلك من خلال التطرق لتعريف المقاربة الإثنوغرافية، مميزاتها وتقنياتها وأهميتها وعلاقتها بدراسات الجمهور.

الكلمات المفتاحية:

المنهج الاثنوغرافي –التفاعل- مقدمة:

في ظل التطورات التي عرفتها الدراسات الإعلامية خاصة منها المتعلقة بتأثير وسائل الإعلام على الجمهور، والتي كانت تركز على المرسل "the Sender" أو الوسيلة "medium" في حين تنظر للمتلقي "Receiver"على أنه سلبي يتلقى، ويتأثر بكافة المضامين الإعلامية مباشرة وبصفة مطلقة. وبعد تغيير تلك الدراسات من مسارها أو وجهتها "أصبحت تركز على المتلقي والعلاقات التي ينسجها مع الوسائل الإعلامية، وأصبح ينظر إليه - إثر ذلك - على أنه نشط، ايجابي، وفعال في اختيار المضامين الإعلامية التي تتناسب مع حاجاته ورغباته.

إن هذا التحول المعتبر الذي شهدته دراسات التأثير، زاد في الاهتمام بالمتلقي النشيط. والدراسات الخاصة به، وذلك ما عبر عنه "ROLAND BARTHES "بموت المؤلف" بعد أن كان التركيز على المؤلف وعلى القصد الذي يريد تبليغه، حيث تبلورت فكرة المستقبل أو المرسل إليه (المتلقي)، وأصبح التركيز عليه لدوره الفعال في بناء وإنتاج معاني عكس السلبية التي كان يُعرف بها،- عند تلقيه للرسائل الإعلامية دون إصدار ردود أفعال – لينصب الاهتمام بعدها على العلاقة الرابطة بين الرسالة والمتلقي.

وفي خضم هذه التطورات وأمام عجز الدراسات والبحوث الامبريقية - الكمية في دراسة وتفسير السلوكيات الاتصالية للمتلقي، وكيفية تفاعله مع الرسائل الإعلامية التي يتلقاها من مختلف الوسائل الإعلامية، ظهر توجه جديد في دراسة سلوك المتلقي أو الجمهور، يتمثل في المنظور أو المقترب الاثنوغرافي في دراسات الجمهور، حيث

كانت البداية مع الأبحاث التي أجراها "دافيد مورلي" في منتصف الثمانينيات حول الاستعمالات الأسرية للتلفزيون، وما طرحه من مفاهيم " سياق المشاهدة " Viewing " السياق المترلي " context "والديناميكية العائلية" ، وهذا مع طرحه

نسخة غير قابلة للطباعة

لأنموذج التفاعل والتأويلات، حيث اقترح فكرة" وجوب فهم التكنولوجيا كنظام تقني ومادي، واجتماعي وثقافي، من خلال الاعتماد على المقاربة الاثنوغرافية لرصد التفاعلات التي تحدث بين أفراد الأسرة الواحدة في سياق عائلي معقد مليء بالممارسات والنقاشات الجماعية، أين اتخذ الآسرة كوحدة تحليل جزئية " من المجتمع ككل.

لتستمر البحوث الاثنوغرافية فيما بعد خصوصا مع رواج الانترنيت في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الواحد والعشرين، ولاستخداماتها الواسعة من قبل فئات المجتمع خاصة الشباب والأطفال، وظهور مفاهيم أخرى جديدة كالجمهور الاليكتروني E-audience، والجمهور القادر على التواجد في الزمان والمكان Ubiquitous audience وغيرها من المفاهيم الجديدة المتعلقة بالجيل الاليكتروني.

ومن بين تلك الدراسات الاثنوغرافية، نذكر الدراسة التي قام بها "ميلر سلايتر "حول استخدام الانترنيت في العمل ولدى الأطفال في منطقة "ترينيداد،" ودراسة "بيتريز" حول دور منتديات الدردشة في تغيير النسيج الاجتماعي وبناء علاقات عاطفية جديدة، إضافة إلى العديد من الدراسات اللاحقة والتي أنجزت ولازلت تنجز من أجل معرفة كيفية تفاعل الأفراد مع الانترنيت والآثار التي تحدثها على سلوكياتهم واتجاهاتهم. والسؤال المطروح هنا فيم تتمثل المقاربة الإثنوغرافية؟ وما هي تقنياتها؟ وما علاقتها بدراسات الجمهور؟

1- تعريف الاثنوغرافيا Ethnography

إن مصطلح الاثنوغرافيا، يتكون من مقطعين: الأول (Ethno)"إثنو" بمعنى جنس أو شعب، والثاني (Graphy)"غرافي" وتعني وصف، وبذلك تعرف الاثنوغرافيا بأنها "وصف لثقافات وحياة الشعوب.[1]

وتعرف الاثنوغرافيا على أنها الدراسة التحليلية للمجموعات الاثنية " العرقية" المعاصرة (دراسة تلك المجموعات المادية والاجتماعية واللغوية)، وهي "ملاحظة وتسجيل المادة الثقافية من الميدان ووصف النشاط الثقافي كما يبدو، فهي الدراسات الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات وأصناف التراث الخاصة بالإثنيات، أي تلك التجمعات الإنسانية التي تمتاز ببنية عائلية والاقتصادية واجتماعية متجانسة، حيث تقوم الوحدة على لغة وثقافة مشتركة.[2]

ويعرفها "مرسلي وأتكنسون" البحث الاثنوغرافي بأنه منهجية بحث اجتماعي يتميز بالانخراط العميق للباحث؛ حيث أنه يقع بين حدود البحث الكيفي السوسيولوجي لمجرد الفهم وبين البحث الإجرائي كون هدفه الفهم والمشاركة في التغيير نحو الأفضل، فمن حيث المنهجية يقتضي البحث الاثنوغرافي قيام الباحث بمعايشة المجتمع موضوع البحث لجمع البيانات كتدوين المشاهدات اليومية أو إجراء مقابلات مع المبحوثين إضافة إلى تحليل الوثائق واليوميات ذات الصلة، حيث أن هذا النوع من الأبحاث يتطلب وقتا طويلا، فقد يستغرق بحث اثنوغرافي فترة تمتد ما بين سنتين إلى 10 سنوات، وما يميز البحث الاثنوغرافي عن بقية الأبحاث الكمية هو عدم وجود فرضيات مسبقة ومحاور صارمة للأسئلة التي تقود البحث.[3]

إن الاثنوغرافيا تختلف عن الاثنولوجيا كونها تعني "أعمال الباحثين والفولكلوريين وسواهم الذين بحثوا طبائع الشعوب وعاداتهم وثقافتهم وتقاليدهم ودورة حياتهم فيما أن الاثنولوجيا تعتبر دراسة تحليلية ومقارنة للمادة الاثنوغرافية، ولذلك فإنهما تكملان بعضهما البعض"[4]

وقد ظهر مصطلح الاثنوغرافيا للمرة الأولى سنة 1607م، للإشارة إلى مجموعات النشر Collections d'étition، وفي ألمانيا يستعمل بصورة متزامنة اللفظان: Volkstunde "دراسة شعبها الخاص"، و Volkerkunde وصف الشعوب الأجنبية " ويتحدثون في روسيا عما يسمى بـــ "دراسة الشعوب"، أما بالنسبة للبلدان الانجلوفونية فهم يتحدثون عن " الأنثروبولوجيا الثقافية و الاجتماعية[5].

نسخة غير قابلة للطباعة

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأنثروبولوجيا والاثنولوجيا والاثنوغرافيا لا تختلف فقط في الأسماء، وإنما يكمن الاختلاف في المواضيع المختلفة التي تعالجها: كالإنسان أو المجتمع أو الشعب أو الثقافة. ورغم وجود نظريات وتيارات قديمة وحديثة مختلفة، إلا أن الاقتراب واضح بين الآراء حول معنى الاثنوغرافيا.

ويرى "أوجبو" Ogbu أن البحث الاثنوغرافي "طريقة وأداة لفهم أساليب مجتمع ما، وطرقه في الحياة، من خلال معرفة أفكار أعضائه ومعتقداتهم وقيمهم وسلوكياتهم، وما يصنعونه من أشياء يتعاملون معها، ويتم ذلك عن طريق الملاحظة بالمشاركة في الوضع الطبيعي من جانب الباحث.[6] ويوصف البحث الاثنوغرافي بأنه تفاعلي بأنه بحث تفاعلي، يتطلب وقتا طويلا للملاحظة والمقابلة، وتسجيل المعلومات كما تحدث بشكلها وفي مواقعها الطبيعية.[7]

إذن يركز البحث الاثنوغرافي على وصف السياق، دون محاولة من الباحث فرض نظامه أو معتقداته على الموقف البحثي. ففهم السلوك وجمع البيانات والمعلومات وفهمها وتفسيرها يجب أن يجري في مواقعها وسياقاتها الطبيعية. كما أن تعميم النتائج ليس هدفا، فالمهم هو الوصف الدقيق والمتعمق للموقف موضوع الدراسة.[8] كما يركز على دراسة حالة اجتماعية معينة أو حدث معين، وتقديم فهم شامل عن الحالة أو الحدث، ويعتمد هذا الوصف على النص أكثر من اعتماده على الأرقام، ولذلك فإن البحوث الكيفية تعتمد في عرضها للنتائج والتفسير لإجابات المبحوثين واستخلاص الرؤى منها.

يؤكد ولسون (Wilson) في مفهومه للدراسة الاثنوغرافية "أنها تقوم على ركيزتين مهمتين الأولى هي التحليل النوعي للظاهرة محل الدراسة، والثانية هي الاعتماد على الطبيعة".[9]

2- منهج الاثنوغرافيا:

من خلال مراجعة الأدبيات العلمية، تظهر صعوبة تحديد "مفهوم المنهج الاثنوغرافي"، نظرا إلى الطبيعة الخاصة التي ترتبط بتصميمه وأساليب تنفيذه،[10] ولذلك فإنه لا يوجد تعريف موحد متفق عليه بين الباحثين للمنهج الاثنوغرافي حيث يرى الباحث "زيتون" أنه منهج لوصف الواقع، واستنتاج الدلائل والبراهين من المشاهدة الفعلية للظاهرة المدروسة، ويتطلب هذا المنهج من الباحث معايشة فعلية للميدان أو الحقل موضع الدراسة[11]. وعليه يكون الباحث الاثنوغرافي من النوع المشاهد المشارك، هذا ما يجعل البحث الاثنوغرافي واقعا بين حدود البحث الكيفي السوسيولوجي لمجرد الفهم، والبحث الإجرائي الذي يستهدف الفهم والمشاركة في التغيير نحو الأفضل.[12]

وعرفه سميث، وديلامونت على أنه الطريقة التي يتم من خلالها وصف ثقافة مجتمع ما، حيث أشارا إلى أنه الدراسة التي يمكن القيام بها أو إجراؤها في السياق أو الموقف الطبيعي، حيث يقوم الباحث بجمع البيانات، أو الكلمات، أو الصور، ثم يحللها بطريقة استقرائية، مع التركيز على المعاني التي يذكرها المشاركون.[13] وحسب "مايلز وهوبرمان" يهدف البحث الاثنوغرافي إلى الكشف عن "غير المتوقع" أو "المستور" أو "المسكوت عنه"، من خلال دراسة الظاهرة التربوية، اعتمادا على مشاركة الباحث المتعمقة لمجتمع الدراسة، ولكونه الأداة الرئيسية في جمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها، باستخدام الكلمة والعبارة عوضا عن الأرقام والإحصائيات، فهو يقدم وصفا مكثف (Thick Description) للظاهرة محل الدراسة. ويعتمد أساسا على الملاحظة، خصوصا الملاحظة بالمشاركة، والمقابلة المفتوحة المتعمقة مع عينة الدراسة.

حيث ينطلق المنهج الاثنوغرافي من مفهوم نظري وفلسفي مناقض لمفاهيم البحوث التقليدية. ففي حين يسعى البحث الكمي الإحصائي إلى تحديد الأسباب، والتنبؤ وتعميم النتائج، يسعى البحث الاثنوغرافي إلى التبصر، والفهم

نسخة غير قابلة للطباعة

والاستكشاف، ودراسة السلوك الإنساني من خلال التفاعل بين الباحث والمبحوثين، وعبر الفهم المتعمق لشعور وأحاسيس وأفكار ومعتقدات المبحوثين، ومن ثم ينتج من هذا التحليل الكيفي نوعا من المعرفة يختلف عن نتائج البحث الكمي.[14]

3- مميزاته:

يتميز المنهج الاثنوغرافي، بالمرونة في الطريقة والتحليل، كما أنه بحث غير مقنن، فلا يخضع لضبط سابق للمتغيرات، كما أن له القدرة على كشف عن الظواهر العفوية التي تظهر من خلال الممارسات والسلوكيات غير المقصودة خلال إجراء الدراسة.[15] إذن المنهج الاثنوغرافي يتميز بمجموعة من المميزات، نذكر أهمها:[16]

- يهدف إلى فهم السلوك الإنساني دون تحكم مقصود أو غير مقصود.
- يتم في موافق طبيعية بدراسة السلوك في سياقه الطبيعي.
- يقوم على دراسة حالة واحدة لمجتمع صغير أو جماعة معينة.
- يعتمد على الملاحظة المباشرة للباحث.
- يختبر ما يحدث فعليا دون الاعتماد على آراء مسبقة.
- يعتمد على جمع مكثف للبيانات يمتد لفترة زمنية قد تطول.
- ويجب أن لا ينظر إلى البحث النوعي على أنه بديل سهل للبحث الإحصائي أو الكمي، فهو يتطلب التزاما واسعا بالوقت في مجال الدراسة، وهو شكل من أشكال البحث الاجتماعي العلمي الذي يعتمد أدلة ثابتة وإجراءات محددة.

ومع تطور مفهوم المنهج الاثنوغرافي أصبح منهجية بحثية تعتمد وصف الظواهر الاجتماعية من خلال الفهم المتعمق لها.[17]

وقد تتنوع تسمياته، فيطلق عليه أحيانا البحث النوعي أو الكيفي Oualitative Research أو البحث الحقلي Field Work أو الطبيعي Naturalistic، أو البحث التفسيري Interpretive ويشير كراسويل إلى عدة أنواع من البحث الإثنوغرافي بما في ذلك: "البحث الاثنوغرافي التقليدي البحث الاثنوغرافي الذاتي، النسوي، السردي، لتاريخ الحياة، والخاص بتحليل الصورة (الصور الفوتوغرافية – أشرطة الفيديو ...إلخ)، والبحث الاثنوغرافي النقدي".[18]

4- تقنيات المنهج الإثنوغرافي: من تقنيات المنهج الإثنوغرافي نجد:

- الملاحظة بالمشاركة (Participant Observation)

يصطلح على الملاحظة بالمشاركة "التدخل الوظيفي" Functional Pénétration وتسمى أيضا "الملاحظة غير المنظمة" Observation Unstrectured، إن من واجبات الباحث الاثنوغرافي تأدية أدوار معينة في المجتمع المدروس، وذلك من أجل حصوله على المعلومات موضوعية، في حين إذا تواجد الباحث في عشيرة أو قبيلة غريبة عنه – حين يُلاحظ أنه فرد غريب عن تلك العشيرة - يجعل هؤلاء الأفراد - موضوع الملاحظة - يغيرون في سلوكهم العادي، كما قد يدلون بأقوال لا تعبر عن واقعهم وعن حالتهم وعن شخصيتهم، وذلك لشعورهم بأنهم خاضعون لملاحظة الغير، لذلك لابد للباحث أن يقوم "بدور" ما في المجتمع بحيث يتقبله أفراد المجتمع وكأنه أحد منهم وبالتالي يكتسب ثقتهم ويبدد الشكوك حول مهمته. أين يتوجب عليه أن يتكلم لغتهم ويستخدم في تفكيره نفس التصورات أو المفاهيم السائدة، ويشعر بالقيم التي يعتنقونها ويعمل معهم ويشاركهم طعامهم واحتفالاتهم وحتى ارتداء ملابسهم.[19] ويتعين عليه أيضا - طوال فترات الدراسة - كتابة تقارير يومية Filed Notes عن كل صغيرة وكبيرة تقابله أثناء دراسته وعندما يتحصل الباحث الاثنوغرافي عن كل ما يخص أسلوب المعيشة في المجتمع المدروس، يبدأ في التحليل والكشف عن عناصر البناء الاجتماعي من تصرفات، عادات، ردود أفعال...وغيرها، وذلك حتى تصبح دراسة مفهومة وواضحة.

نسخة غير قابلة للطباعة

وعلى الباحث الاثنوغرافي أن يستخدم الملاحظة بالمشاركة في جميع المعلومات في وصف جميع السلوكيات والأنماط والعادات التي تم رصدها دون استثناء وتسمى هذه الطريقة" بالطريقة الكلية "Method Holistic"* ويحدد "بريتشارد ايفانز" شروط نجاح الملاحظة بالمشاركة فيما يلي:[20]

❖ قضاء الباحث لفترة كافية بين أفراد المجتمع المدروس في معيشتهم مرتبط بـــ "حجم المجتمع وطبيعة المشكلة المراد دراستها".

❖ أن يكون الباحث طوال فترة الملاحظة على صلة وثيقة بالأهالي، خاصة بإشراكه في معظم جوانب حياتهم.

❖ على الباحث الاثنوغرافي أن يستخدم في حديثه مع أفراد المجتمع المدروس لغتهم لأن المترجم قد يفشل في نقل الأفكار والمعاني بدقة كاملة، فعامل اللغة هام في تطبيق هذا المنهج.

❖ ضرورة الملاحظة الشاملة لكل جوانب الحياة الاجتماعية، وان اقتصرت الدراسة على جزء ما، وذلك قصد فهم الجانب التفصيلي وتحديد وظائفه.

❖ على الباحث أن يتخلى عن قيمه وحضارته قدر المستطاع – مؤقتا - حتى يستطيع تحقيق الملاحظة الموضوعية، بالوصف الدقيق للظاهرة المدروسة ولكن عندما ينتقلون إلى مرحلة الفهم والإدراك العميق فإنهم يحتاجون للكثير من الحدس، ويجب عدم إغفال أهمية مزاج الباحث وطباعه، فقد يحدث أن يخفق أحد الباحثين في دراسة مجتمع معين ولكنه ينجح في مجتمع آخر.

❖ يحتاج الباحث لمهارة أدبية في نقل ووصف وتحليل البناء الاجتماعي إلى لغته، إذ عليه أن يبين ويشرح معنى الظواهر الاجتماعية ويبرز معناها بوضوح لينجح في عمله.

❖ فيما يتعلق بتدوين التقارير اليومية، نلاحظ أن أفضل الظروف لتسجيل المعلومات هي مكان المحادثة وأثناء حدوثها، إذ يترتب على ذلك إبعاد عامل " التحيز في الاختبار "Selection Bias" أي التحيز في تسجيل معلومات معينة، وإهمال معلومات أخرى، أو عامل ضعف الذاكرة الإنسانية، وقد تؤدي هذا التسجيل أو تدوين المعلومات إلى إثارة شكوك الأفراد الخاضعين للملاحظة، وقد يؤدي أيضا إلى تشويه الصورة الطبيعية للظاهرة.[21]

❖ إن القيام بالملاحظة وتدوين المعلومات في نفس الوقت يؤدي غالبا لعدم دقة الملاحظة.

❖ ويجب ان يكون التسجيل بصورة يومية على الأقل وأن يشمل تقريرا مطولا عن حوادث اليوم بمحاولة تسجيل "النقاط الهامة" وقت حصولها فالغش في مجتمع غريب يخلق الشعور بأهمية التدوين المباشر.[22]

➢ طريقة المقابلة غير الموجهة (Unguided Interview):

مقابلة البحث هي تقنية مباشرة ، تستعمل من أجل مسائلة الأفراد بكيفية منعزلة، لكن أيضا في بعض الحالات مسائلة جماعات بطريقة نصف موجهة تسمح بأخذ معلومات كيفية بهدف التعرف العميق على الأشخاص.[23]

يستخدم الباحث الاثنوغرافي أثناء الدراسة الميدانية، بالإضافة إلى طريقة الملاحظة بالمشاركة طريقة "المقابلة غير الموجهة" وتتمثل في مقابلة بعض أفراد مجتمع الدراسة أو كلهم حسب عينة الدراسة فيحاول في المقابلات الأولية اكتساب ثقتهم، حيث يبدأ الباحث في توجيه الأسئلة لأفراد العينة محل الدراسة ، مع اتاحت لهم الفرصة للإجابة المطولة دون توجيه الإجابة وجهةً معينة، وعندما ينتقلون في الحديث من موضوع لآخر لا يحاول قطع الحديث، وإنما على العكس تماما يشجعهم بكلمة أو أخرى تزيد من حماسهم في الاسترسال في الحديث حول الموضوع الذي يهم الباحث.

نسخة غير قابلة للطباعة

ويمكن لهذا الباحث تدوين تلك المعلومات أو تسجيلها بالآلات الحديثة، إذا كان قد اكتسب ثقتهم، وفي حالة عدم اكتساب تلك الثقة يمكن تدوين النقاط الأساسية بطريقة لا تثير الشك، وفي بعض الأحيان لا يكتسب الباحث أية معلومات أثناء المقابلة غير الموجهة، وإنما عليه تدوين كل ما يسمعه بعد المقابلة مباشرة حتى لا ينسى بعض عناصرها.[24] وتتلخص أهمية هذه الطريقة في اتاحتها لفرصة إظهار سمات شخصية الأفراد وذلك بإعطاء المعلومات التفصيلية عن الموضوعات التي تدور حولها الأسئلة.

➢ طريقة المقابلة الموجهة (Guided Interview):

وتتمثل في استخدام استمارة متكونة من مجموعة من الأسئلة موضوعة بدقة حول موضوع معين، وتشمل الاستمارة كذلك الإجابات المحتملة بحيث يمكن ملؤها بسرعة وتفريغها في جداول وعلى الباحث أن يقرأ كل سؤال أمام الشخص المراد دراسته ثم تسجيل إجابته بوضع علامة أمام إحدى الإجابات المكتوبة.[25] هذه الطريقة غير شائعة في الدراسات الخاصة بالمجتمعات الريفية البدائية، كونها تثير شكوك الأفراد لعدم تعودهم عليها وخاصة وأنه في الغالب لا يعرف القراءة والكتابة و لم يحدث أن قابله شخص ما وأخذ يسجل أقواله، لذا ينحصر استخدامها فقط في المجتمعات الحضارية.

➢ طريقة الاختبارات النفسية:

هذه الطريقة غير شائعة وتستخدم في الأنثروبولوجيا الاجتماعية أثناء الدراسات الميدانية لبعض الاختبارات النفسية لتحديد خصائص شخصية أفراد المجتمع المدروس، مثل " اختبار روشاخ"Rorschach Test *ونشير هنا إلى أن القليل من علماء الأنثروبولوجيا المتعلقة بعلم الاجتماع، يستخدمون هذا النوع من الإختبار، وذلك لتكون الحصة الأوفر في استخدامات علماء الانثروبولوجيا الثقافية الذين يتخصصون في تحديد العلاقة بين الشخصية والحضارة في مجتمع ما.[26]

ونعود لطرق الملاحظة في الاثنوغرافيا: حيث يرى Mauss Marcel في كتابه:Manuel d'ethnographie[27] أن العمل المثالي في هذه المهمة يتطلب توفر ثلاثة أشخاص: عالم جيولوجي Un géologue

وعالم نباتي Un botaniste وباحث اثنوغرافي Un ethnographe، حيث يرى بأن الطريقة الأولى لبدء العمل تتطلب المرور بثلاثة عناصر أساسية أولها فتح ما يسمى بـــ "جريدة الطريق" Un journal de route التي يتم فيها تسجيل العمل اليومي للباحث فتسهل له مهمته وتنظم له العمل قصد الاطلاع على المعلومات المسجلة بسهولة ، كما يعتبر الباحث ملزما بالقيام بعملية"جرد" المعلومات المجمعة وبوضع " وثيقة وصفية " Une fiche descriptive مفصلة ترفق بعدة ملاحق خصوصا ملحق فوتوغرافي و ملحق سينما توغرافي إن أمكن.

وقبل أن يتطرق Mauss Marcel لطرق الملاحظة، وضع مخططا يعتبره الأنسب لدراسة مجتمع ما يشمل ثلاث خطوات متتابعة ومترابطة ومتكاملة: مخطط دراسة مجتمع[28] Plan d'etude d'une society:

1/ المورفولوجيا الاجتماعية Morphologie sociale:

يتكون كل مجتمع من جماهير ودراسة هذا المجتمع باعتباره يتكون من جماهير وفي ميدانه يشكل ما نسميه "مورفولوجيا اجتماعية" حيث تسمح بفهم الديموغرافيا Démographie والجغرافيا البشرية Géographie humaine.

2/ الفيزيولوجيا الاجتماعية: physiologie sociale :

تدرس الظواهر في حد ذاتها ووظائفها، خلال حركيتها، وقد صنفها حسب درجة ماديتها إلى :

•التقنيات les techniques: تشمل كل الفنون والحرف الخاصة بالإنتاج بما في ذلك كل العلوم فلا يوجد مجتمع بدائي يكون مجردا من العلوم، بالإضافة طبعا إلى الحرب التي اعتبرها Mauss Marcel ضمن التقنيات كونها تعتبر فن التخريب.

نسخة غير قابلة للطباعة

•الاستطيقا L'esthétique: وتهتم بالجانب الجمالي للمجتمع الذي يعتبر ماديا بنسبة كبيرة حتى عندما يظهر مثاليا.

•الاقتصاد L'économie: يهتم بكل الظواهر الاقتصادية وكل ما يتعلق بالأموال، بالإضافة إلى الظواهر القانونية.

الظواهر العامة Phénomènes généraux: وتشمل هذه الظواهر اللغة في المرتبة الأولى ويليها الظواهر الوطنية Phénomènes nationaux (داخل الوطن ذاته) والظواهر الخارجية Phénomène internationaux .

2/الطريقة المورفولوجية والكارتوغرافية*: Cartographique "والتي لها علاقة برسم الخرائط الجغرافية " : تقام على كل أعضاء المجتمع محل الدراسة، ويجب أيضا وضع خريطة جغرافية للمجتمع المدروس كما يتم تسجيل كل المواضع التي يمكن أن نرصد فيها حضور أفراد المجموعات المدروسة وعددها وعدد سكانها، فالإحصاء الديموغرافي يعتبر أساس أي مهمة ، أما بالنسبة للآسر فالجرد يجب أن يكون كاملا من خلال تحديد: العمر، والجنس والطبقة، إلخ. وتتضمن طريقة الجرد وثيقة كارتوغرافية Une fiche cartographique تسمح بتحديد كل موضع دقة : مخطط المترل، مخطط كل طابق منه إن أمكن ومخطط كل غرفة... الخ.

•الطريقة التصويرية (الفوتوغرافية): يجب تصوير كل الأشياء المدروسة دون إهمال أي عنصر ويجب أن ترفق عملية التصوير بتحديد الوقت والمكان والأبعاد الخاصة بكل صورة.

•الطريقة الفونوغرافية: ونقصد بها تسجيل الأصوات، ولا نقصد بذلك صوت الإنسان فحسب، بل يجدر بالباحث أن يسجل كل شيء فلا يهمل الموسيقى المحيطة به وضربات الأقدام والأيادي الخ؛ ومن المهم أن يصاحب كل تسجيل ترجمة مع تعليق تسمح بتحويله إلى نص.

•الطريقة الفيلولوجية Méthode philologique: وهي طريقة فقه اللغة، وتفترض معرفة الباحث بلغة الشعوب الأصلية* la langue indigène حيث يجد الباحث نفسه ملزما بتأسيس مجموعة كاملة من النصوص المسموعة، دون أي إقصاء بما فيها النصوص اللفظية أو السوقية التي لا تقل أهمية، فيجب عليه نقل كل الكلمات الأصلية Les mots indigènes* وتسجيل الموسيقى عندما يتعلق الأمر باللغات التي تحوي عدة لهجات، كما تعد عملية البحث عن مخبرين قادرين على إعطاء عادات ثابتة أفضل طريقة لتعلم لغة البلد محل الدراسة، إذ أن التسجيل الفيلولوجي يجب أن يتم كلمة مع الحفاظ على صحة الترجمة.

•- الطريقة السوسيولوجية Méthode Sociologique:

تقوم هذه الطريقة أساسا على تاريخ المجتمع المدروس، حيث تجدر العودة إلى ثلاثة أو أربعة أجيال سابقة، كما تجدر دراسة تركيبية المجتمع والتركيز على تاريخ الأسر، باعتبار أن الأسرة هي الخلية الأساسية للمجتمع، ومن ثمة تاريخ الأفراد.[29]

إن الاستعمال المتزامن لمختلف هذه الطرائق لا يسمح فقط بالوصول إلى تحديد الجماهير بل يمكن أيضا من التوصل إلى تحديد الأفراد المتواجدين ضمن الجمهور والتعرف عليهم أكثر فأكثر، وللتحديد أكثر، فأن الملاحظة يجب أن تكون كاملة وشاملة لكل الجوانب : أين؟ من قبل من؟ متى؟ كيف؟ و لماذا وقع هذا الشيء أو ذاك؟...وغيرها من الأسئلة التحليلية الدقيقة، والتي من خلالها يمكن التوصل إلى نتائج دقيقة وواضحة.

نسخة غير قابلة للطباعة

5- اثنوغرافيا الاتصال ودراسات الجمهور:

❖ اثنوغرافيا الاتصال:

يتفاعل الناس مع بعضهم البعض عن طريق أداة مهمة هي: "اللغة"، وقد أسس الباحثان الأمريكيان "دال هايمز Dell Hymes"، و"جون قمبرز "Gembers" هذا التيار المتمثل في:" اثنوغرافية الاتصال" ، حيث إستفادا من أفكار وأبحاث مختلف التيارات الفكرية في مجال الأنثروبولوجيا واللسانيات وسوسيولوجيا اللسانيات في كتابهما "اثنوغرافيا الاتصال" أين عرضا "المقاربة الاثنوغرافية" التي اعتبرت مقاربة جديدة. وهي الاستفادة من الأفكار التي طرحت في تخصصات مختلفة لدراسة مقاربة التفاعلات السلوكية اللغوية، وهذه الأخيرة هي مقاربة منهجية ولغوية اعتمدت على التحليل الميداني، هذان الباحثان لم يقتنعا بالدراسات والأبحاث التي قدمت من قبل التيار اللساني سواءا من قبل الباحث " دي سوسور " ولا جاك ويسون، لأن هذا التيار حسب Dell Hymes و Gembers يرى أن بنية اللغة هي بنية مغلقة ومستقرة.[30]

وقد اهتمت هذه المقاربة بوضع تصنيف لوضعيات اللغة، وهذا الذي يقوم على التوليف بين البحوث الإمبريقية هي العادات اللفظية للجماعات الإنسانية والإشكاليات المرتبطة بالتنوع اللغوي (ازدواجية اللغة، تعدد اللغة، ازدواجية اللهجات، تعدد اللهجات...) ومفهوم آخر هو La Diaglossie أطلقه مارتن توماس Marten Thomas، وتوجد فيه لغة ثانوية أساسية تستفرد بالسلطة في مجتمع من المجتمعات، ومقاربة "سميث هي الأخرى ركزت على محاور بخصوص "اثنوغرافية الاتصال" "على النشاط اللغوي للمتخاطبين في وضعية التفاعل، "حيث تهتم بتحليل كيفية استخدام اللغة ومدى تأثير مكوناتها على بعضها البعض" ويضيف Gembers أن عند حدوث تبادل لغوي لا يهتم الأفراد بالحديث فحسب، بل أكثر من ذلك أي "النظرات، اللهجة نبرات الصوت، الإشارات، الإيماءات، حدة الصوت...إلخ" التي تعتبر مهمة في الاتصال، وأوضح Hymes بأن الاتصال لا يقوم فقط على تبادل الرسائل، وإنما يرتكز أيضا على تبادل التفاعلات والمعاملات Transaction وكذا المفاوضات، لحدوث كل هذا، لابد من الانتباه والتركيز أثناء البحث الاثنوغرافي.[31]

➢ يعتبر الاتصال تفاعل ومعاملة Interaction et Transaction ومفاوضات، معناه أن الفرد يعطي حجة يدافع بها عن رأيه، وبالمقابل الآخر يرفض ويعطي رأيه بحيث نلتمس أخذ ورد وهذان ميزتا المفاوضات.

➢ يرفض هذا التيار اعتبار اللغة نسقا مغلق مما دفعه إلى التفكير في الطريقة التي تبرر اللغة كشيء معبر عنه، أي تعبير عن تنظيم اجتماعي معين لذلك عندما انطلق الباحثان استند على ثلاث مفاهيم تحليلية أساسية:

- السلوك الخطابي: بحيث لا يمكن فصل السلوك عن الاتصال أو عن الثقافة.
- الجماعات اللغوية.
- فعل الكلمة l'acte de parole. وهذه المفاهيم التحليلية ركزت على إبراز إشكاليتين رئيسيتين هما "الكفاءة الاتصالية" و"إشكالية أداء اللغة" (La competance de la langue). إذ لا يمكن الحديث عن كفاءة اتصالية دون أو خارج الحديث عن كفاءة لغوية، فاللغة هي مفهوم يتصل بأداة اللغة وهي مفاهيم اقتبست من البراغماتية ،إذن فالتفاعلات اللغوية يمكن أن تؤدي إلى تغيير في الواقع.

يهتم Hymes باللغة في الفعل واستخداماتها وتنوعها داخل مجموعة اجتماعية. أما بالنسبة لاثنوغرافية الاتصال فالاهتمام باللغة يكون من خلال الفعل داخل جماعة، حيث أنه في الواقع ينقل هايمز وأتباعه التيار من اثنوغرافية التركيز على الكلمة إلى اثنوغرافية التركيز على الاتصال. فالكلمة ليست شيء اعتباطي، وإنما هي بالنسبة لهذا التيار "نسق"، هذا النسق يخضع

نسخة غير قابلة للطباعة

لقواعد معينة وهذه القواعد توضح لنا الكيفيات، التي يقوم من خلالها المتخاطبون بترتيب تفاعلاتهم في سياقات خصوصية، بمعنى أن للكلمة قواعد في سياقات خصوصية، كذلك احترام الدور فعندما نتكلم ونعطي الدور بعد ذلك للآخر للتحدث هذا ما يقصد بترتيب التفاعل، وهذه القواعد المتفق عليها مرتبطة بسياقات معينة لا يمكن اعتبارها أنساقا عامة، يعني أنها لا تطبق على المجتمع ككل. وهنالك مفهوم "كفاءة الاتصال" هذا المفهوم يقصد به "ما يحتاج المتحدث لمعرفته من أجل الاتصال بطريقة فعالة في سياقات ثقافية ذات دلالة- داخل انساق معينة - فالكفاءة الاتصالية هي ملائمة الرسائل اللفظية لسياقها، وهي مسألة غير قابلة للفصل عن بعض المسائل والقيم والحوافز التي تمس اللغة وسماتها واستخداماتها، كما أنها غير قابلة للفصل عن الاتجاهات المتعلقة بالعلاقات المتبادلة لبنى اللغة وباقي قواعد السلوك اللغوي.[32]

❖ أهمية الاثنوغرافيا في علوم الإعلام والاتصال

إن الإثنوغرافيا هي الدراسة التحليلية للمجموعات الإثنية المعاصرة، فهي دراسة لخصائص تلك المجموعات المادية، والاجتماعية، واللغوية، وهي من ناحية أخرى، دراسة لإتجاهات دراسية حول العلاقات بين خصائص المجموعات الاثنية وحول أسباب الاختلافات بينها وخاصة التمايز في مختلف أنماط التفاعلات، التي تحدثها أنظمة الاتصال الرقمية في أوساط مختلف المجموعات المحلية، في علاقات بالاتصال الدولي الشامل. وتقوم المقاربة الإثنوغرافية على الملاحظة وتحليل سلوكيات الجماعات البشرية معتبرة في خصوصيات وتستهدف إعادة بناء، وبأقصى ما يمكن من الأمانة ، حياة كل واحدة منها. ومهمة الدارس في المجال الإثنوغرافي الرئيسية، هي توضيح تجارب كائنات بشرية بالشكل الذي يساهم انتماؤها إلى جماعات اجتماعية في تحديده هويتها، وللوصول إلى ذلك، يعمل على تأويل بعض المظاهر الثقافية التي تتقاسمها هذه الجماعات المحلية، خاصة في المجتمع الكوني كما يعمل على تفسير التمثلات الثقافية وتأويلها بشكل يجعلهم مهمتان متكاملتان في فهم الظواهر الثقافية لدى مختلف الشعوب والأمم.

فهنالك اهتمام كبير بهذه المقاربة في حقول البحث في علوم الإعلام والاتصال خاصة في دراسات الجمهور، فعجز المقاربات الكمية في إعطاء فهم دقيق وجعل الكثير من الباحثين يميلون إلى استعمال المقاربة، فبالرغم من كون هذا المقترب براغماتي بالدرجة الأولى (يأخذ بعين الاعتبار فقط المصادر المتوفرة، والمعطيات المستهدفة من البحث)، تبقى أنسب مقاربة تسمح بالدخول إلى عوالم العائلات وسياقاتها في إطار تلقي الرسائل الإعلامية لفعل فردي واجتماعي ووصف أفعال هذه العائلات وإشارتها في علاقتها مع استعمال التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال، فالمقترب الاثنوغرافي يركز على فهم السلوك في سياق اجتماعي عبر مشاركة الباحث في الوضعية المدروسة مشاركة فعالة ضمن الفريق موضوع الدراسة.[33]

كما يوفر المقترب الاثنوغرافي تقريرا وصفيا مستعملا مجموعة من الأدوات المنهجية في مقدمتها المقابلات الودية غير الرسمية والملاحظة بالمشاركة. ويستعين الباحثون في دراسة الجمهور بهذا المقترب الاثنوغرافي في حالات يكون فيها موضوع الدراسة غير مألوف لدى فريق التحقيق، حيث يعتقد أن السياق العام له تأثير مهم في مجريات الدراسة، ويتم التركيز عليه لفهم محيط الدراسة وتكوين نظرة شاملة على مختلف المسائل المرتبطة بموضوع البحث الذي يتطلب بالضرورة معرفة قبلية له من طرف الباحث، كما أن التحدي الذي يواجه الباحثين في مجال الجمهور والتلقي يكمن في تحديد "تمثيل" مناسب للجمهور الذي يحيل تعريفه ثقافيا بالضرورة إلى نظرة معينة للعلاقة بين وسائل الإعلام والمجتمع، كما أن المقاربة التي تنزع عن الجمهور كل صفة فردية وتحيل إلى جماهير متنوعة محددة انطلاقا من ملاحظة الممارسات تقترح مفهوما جديدا في صيغة الجمع للتكنولوجيا الحديثة والمجتمع الالكتروني معا.

نسخة غير قابلة للطباعة

فهذه المقاربة تنطلق من الاعتراف بالتمايز الاجتماعي القائم على اعتبارات متنوعة منها: دور الأعراف والتقاليد الاثنية المحلية (المزابية، الترقية، الشاوية...وغيرها من التفرعات الأمازيغية) في اختيار علاقة السلطة القائمة بين الرجل والمرأة والآباء والأبناء وتطورها من خلال التعامل مع التكنولوجيا المترلية و الولوج إلى المجتمع الالكتروني حيث الجمهور ذو القدرة على التواجد الكلي في عالم شمولي ومتنوع الخصوصيات في ذات الوقت وغير محدد جغرافيا (Ubiquitous) حيث تنهار الفواصل الجغرافية والزمنية أمام قضاء لا متناهي.[34]

❖ الآفاق الاثنوغرافية لأبحاث الجمهور

إن المقترب الاثنوغرافي يسمح للباحث أن يكشف أبعاد الظاهرة داخل الأسر. حيث يقوم المنهج الاثنوغرافي على الملاحظة وتحليل سلوكيات الجماعات البشرية، ومهمة الدارس الرئيسي في المجال الاثنوغرافي، هي توضيح تجارب الكائنات البشرية بالشكل الذي يساهم انتماؤها إلى جماعات اجتماعية في تحديد هويتها، وللوصول إلى ذلك يعمل على تأويل بعض المظاهر الثقافية التي تتقاسمها هذه الجماعات المحلية خاصة في المجتمع الكوني كما يعمل على تفسير التمثلات الثقافية وتأويلها بشكل يجعلهما مهمتين متكاملتين في فهم الظواهر الثقافية لدى مختلف الشعوب والأمم.[35]

إن التوجه الجديد في المنهج الإثنوغرافي يتمثل في" دراسة السلوك الاتصالي للجمهور والتفاعلات الممكنة مع الرسائل الإعلامية التي يتلقاها من مختلف الوسائط المتوفرة في الفضاء الاتصالي الجديد، الذي تشكل الانترنت أهم وسائطه على الإطلاق، وأوسع مجال الثقافة التفاعلية بين الإنسان والمحيط التكنولوجي. فقد أصبحت الانترنت منذ الشروع في استعمالها في الفضاء العمومي، في الغرب في التسعينات من القرن الماضي، كمنافس للتلفزيون كأداة تكنولوجية مترلية جديدة؛ وبالتالي تحول انشغال الآباء والمربين إلى التأثيرات المحتملة لهذه الوسيلة الغازية المتوغلة بقوة خارقة وسرعة فائقة في مختلف مناحي حياة الناس".[36]

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن خصوصيات هذا الفضاء الاتصالي الجديد الذي هو في الحقيقة، امتداد للفضاء الناجم عن الاستعمال المكثف للتكنولوجيات المترلية استدعت تعميم الاختيارات المنهجية الإثنوغرافية للتوجه الجديد في أبحاث الجمهور. وهي تندرج، عموما، فيما أصبح يعرف بالمنهجية الإثنوغرافية (Ethnomethodology) في دراسات التلقي، حيث تستلزم تحديد إثنوغرافيا الجمهور إضافة غلى ذلك توجب "إجراء تحريات علمية حول أنظمة التأويل والعمليات التي يقوم بها المتلقون". وتستند خطوات البحث إلى مختلف وحدات التحليل كالفرد باعتباره موضوع اجتماعي وذات فردية (Individual Subjectivity & Social Subject) والجماعة والعلاقات ما بين الذات المشتركة (Intersubjective) في تجربة الحياة اليومية للجماعة.

ويشير الدكتور "علي قسايسية" إلى أن تطبيق المقترب الإثنوغرافي يحتاج إلى مشاركة كلية للباحث، وانفتاح ذهني ومهارات وتدريبات على تقنيات الملاحظة واستعمالها في مختلف التحقيقات الاجتماعية، كما يحتاج أحيانًا استثمارًا في الوقت والجهد من أجل أن يتعوّد الدارس على مجال البحث والاندماج فيها، وإلى جانب المشاركة الكلية والملاحظة المباشرة الغير منقطعة للسلوك اليومي، ويضيف أيضا، أن الباحث يلجأ إلى تقنيات المقابلة على مستويات مختلفة والحوار ...إلخ لكشف أوجه التشابه والاختلاف بين مختلف الأفراد محل الدراسة، في السن أو الجنس والمعتقدات والطقوس المحلية، التي من شأنها أن تساهم في تفسير مظاهر التمايز والتماثل، والمتنافرات والتقاطعات والتفاعلات ممارسات الحياة اليومي الخاصة أولئك الأفراد.

نسخة غير قابلة للطباعة

هذه الآفاق الإثنوغرافية الأنثربولوجية لأبحاث الجمهور تسعى لمقاربة التفاعلية والأثر في سياق اجتماعي-تقني وثقافي لجمهور ذي قدرة كلية على التواجد في كل مكان في نفس الزمان(Ubiquitous Audience)، حيث يسجل حضورا دائما مستقل عن تموقعه الجغرافي.(Geographical Location) وهي الحالة التي يعبر عنها بما بعد الجمهور(Post Audience) وجمهور عن بعد(Remote Audience) وعموما هو جمهور لا وجود مادي له. ولكن يمكن التدليل عن هذا الوجود اللامادي له بطرق متنوعة؛ كإنتقال الآراء والأفكار المتبادلة افتراضيا في شكل رسائل حرفية بصرية أو صوتي، بفضل التقنيات التي تطورها يوميا الصناعات الإليكترونية ومنها تقنية البث عن طريق الواب أي البث عن طريق كاميرات الواب التي"طورت نظام التحاضر عن بعد (Tele-Conferencing).

أين صرح بدعوة لمشروع البحث عن مقاربة بديلة في أبحاث الجمهور تنطلق من الاعتراف بالتمايز الاجتماعي القائم على اعتبارات متنوعة منها :دور الأعراف والتقاليد الإثنية المحلية (الميزابية، الترقية، الشاوية وغيرها من التفرعات الأمازيغية) في اختبار علاقة السلطة القائمة بين الرجل والمرأة (يعني متغير الجنس)، والآباء والأبناء(القصر والبالغين على حد سواء يعني متغير السن). وتطور تلك العلاقة من خلال التعامل مع التكنولوجيات المترلية. والولوج إلى المجتمع الإلكتروني، الذي يتميز بقدرته على التواجد الكلي في عالم واسع، دون أن نسيان الخصوصيات الثقافية الخاصة به، والأصعب أنه يتميز بالوجود اللامادي.

إن مشروعية هذا المشروع الداعي لمقاربة بحث بديلة، مستمدة من التطور السريع لمؤشرات المجتمع الإلكتروني، إلى جانب مشاريع الحكم الالكتروني(e-Government) أو الحكومة الرقمية والجامعة الافتراضية أو التعليم الإليكتروني(e-Learning)...إلخ. وغيرها من مشاريع الرقمنة(Digitalization) الرامية إلى تأسيس الجزائر الإليكترونية،(e-Algeria) كتمهيد ضروري للجزائر القادرة على التواجد الكلي(u-Algeria) كما تستمد مشروعيتها من مرونة المقاربة الإنثولوجية ذاتها، حيث أن المنهج الإثنوغرافي في أبحاث الجمهور، يستدعي النزول إلى الميدان، ومعايشة المجتمع المدروس من حيث محاولة وصفه، وتأويل الممارسات الخاصة به في سياقها الثقافي، وذلك عن طريق الملاحظة المباشرة لنشاطاتهم اليومية وتسجيلها، كل هذا من اجل رصد سلوكياتهم في سياقها الطبيعي.[37]

الخاتمة:

في الأخير، يمكن القول أن" البحث الإثنوغرافي" يأتي في مقدمة البحوث النوعية والتي حظيت بالاهتمام والنقاش. باعتباره الطريقة أو الأداة المناسبة لفهم أساليب وطرق عيش مجتمع ما. وذلك من خلال رصد سلوكيات أفراده والتعرف على عاداتهم ومعتقداتهم وقيمهم...حيث يعتمد هذا البحث على الموضوعية في الوصف والتحليل باستخدام الكلمة والعبارة عوضا عن الأرقام والجداول الإحصائية.

إن الدراسة الإثنوغرافية تقدم لنا وصفا شاملا ومكثفا للظاهرة محل الدراسة. في حين تقوم على مفهوم مشاركة أو إشراك المبحوثين بطريقة مباشرة في الدراسة وتقديم وجهة نظرهم بصورة شمولية وفاعلية من طرف الباحث، والذي يجب أن يكون جزءا من مجتمع البحث أين يُشترط "معايشته المباشرة للمبحوثين".

إذن، وعلى ضوء ما توصلت إليه أبحاث الجمهور الحديثة "تبقى المقاربة الإثنوغرافية أنسب مقاربة تمكننا من رصد مختلف التفاعلات والسلوكيات والتعاملات في الوضعية الطبيعة التي نجدها في سياق المجتمع الواحد أو الأسرة الواحدة أو بين مختلف المجتمعات"، إذ بفضلها يمكن الدخول إلى عوالم الأسر والمجتمعات عموما الذي يتصف بسياق جد معقد، إطار تلقيها للرسائل الإعلامية كفعل فردي واجتماعي وبفضلها يمكن التوصل إلى نتائج تعكس واقع العالم المدروس بدقة

نسخة غير قابلة للطباعة

وعمق. وذلك من خلال التركيز على مجمل تفاعلات الأفراد المبحوثين وعلاقتهم مع التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال واستعمالهم لها. لأن المقترب الإثنوغرافي، يركز على فهم السلوك في سياق اجتماعي، بمشاركة الباحث في مشاركة فاعلة. من خلال استخدامه لمجموعة من الأدوات المنهجية في مقدمتها، المقابلات الودية غير الرسمية والملاحظة بالمشاركة.

قائمة الهوامش:

---

[1]- فهد بن سلطان السلطان: المنهج الاثنوغرافي، رؤية بحثية تجديدية لتطوير واقع العمل التربوي، دن، دت، ص10.

[2] - Dictionnaire Encyclopédique, Quillet, 1983. P411.

[3] - Http://www.quattanfoundation.org.(consulé le 21/12/2011).

[4]- Ibid.

[5] - Http://www.ethnographiques.org/2006/weber,lambelet.htm.(consulté le 18/04/2011).

[6] - Ogbu,J.(1996). Educational Anthropology" In Encyclopedia of Cultural Anthropology. Henry Holt and Company, PP.371-377 vol. (2).

[7] - Gobo,G: Doing Ethnography: Sage Publication.USA. 2008. p32.

[8] - McMillan, j & Schumacher, S. Research in Education: A conceptual Introduction. Longam Publications. New York. USA. 2001.P420.

[9]- فهد بن سلطان السلطان، مرجع سبق ذكره، ص 13-14.

[10] Patton, M(1995). Oualitative Evalvation and Research Methods New-bury Park, CA : Sage Publication. p67.-

[11]- كمال، زيتون: تصميم البحوث الكيفية ومعالجة بياناتها إلكترونيا، القاهرة: عالم الكتب،2006، ص306.

[12] - Hammersley, M. & P. Atkinson (1995). Ethnography: Principale and Practice. London: Routledge.p10.

[13] - Ibid.

[14] - Meles, M & A. Huberman. Oualitative Data Analysis Thousand Oaks: Sage Publication. USA. 1999. P15.

[15] - Angrosino, M : Doing Ethnographic and Observational Research: Sage publication. USA. 2005. P32.

[16]- محمد، مصطفى عبد السميع: البحث الكيفي ملامح وتطبيقات، ورقة عمل مقدمة للندوة والورشة التدريبية الاقليمية حول البحث الكيفي، القاهرة، مصر، ص 33.

17-العبد الكريم، راشد بن حسين: البحث النوعي، مجلة المعرفة، وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية، العدد 150 2007، ص33.

[18] - Creswell, J, G.Oualitative Inouiry and Research Design: Choosing Among Five Approaches Second Edition Sage Publication. USA. 2006. P59.

*الطريقة الكلية: هي إحدى الخصائص الرئيسية في منهج الأنثروبولوجيا وفروعها.

19- عاطف وصفي: الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 2004، ص166

[20]- المرجع نفسه، ص 167

[21]- المرجع نفسه، ص 168.

[22]- المرجع نفسه، ص169.

نسخة غير قابلة للطباعة

[23]- موريس أنجرس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، تدريبات علميةـــ ترجمة بوزيد صحراوي، كمال بوشرف، 3- سعيد سبعون ،ط3، دار القصبة للنشر، الجزائر،2006. ، ص 197.

[24]- كترة حامدي: دور التلفزيون في تشكيل بعض القيم لدى المرأة الريفية، دراسة اثنوغرافية على عينة من الريفيات الجزائريات، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2010-2011، ص37.

[25]- عاطف وصفي، مرجع سبق ذكره، ص168.

* يتكون هذا الإختبار، الذي سمي نسبة إلى واضعه من : عشر لوحات، يرسم على لوحة صورة مكبرة لنقطة حبر يقذف بها على ورقة، فتتخذ شكلا غير منتظم ويصف الشخص المبحوث ما يمكن أن يتصوره من أشكال، عندما ينظر لكل لوحة، وعلى أساس ما يقرره الشخص يمكن التوصل إلى تحديد شخصيته.

[26]- المرجع نفسه، ص 171.

[27] - Mauss Marcel: Manuel d'ethnographie,Paris: Editions sociales, collection: Petite Bibliothèque Payot,1967, p15.

[28] - Ibid, p16.

[29]- Ibid, p20.

* Indigéne : كلمة اشتقها قوستاف جيفرو (1855-1926) من الكلمة اللاتينية Indigéna التي تعني "الذي ولد في بلد معين ويقيم فيه مدى الحياة، أي أبناء البلد أو السكان الأصليين في مقابل الذين هاجروا إلى ذلك البلد. لكن هذه العبارة اكتسبت في الحقبة الاستعمارية دلالة الجهلة والمتخلفين وغير المثقفين، أي كل الصفات الدينية التي أعطاها المستعمر الفرنسي للسكان الأصليين في كل مستعمرة حل بها، انظر محمود ابراقن: المدخل إلى سيميولوجيا الاتصال، محاضرات السنة الثالثة ليسانس، جامعة الجزائر،2004-2005.

[30]- رضوان بوجمعة: أشكال الاتصال التقليدية في منطقة .القبائل، محاولة تحليل أنثروبولوجي، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، دولة في علوم الاعلام الاتصال، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص ص 93-100.

[31]- كترة حاج حامدري، مرجع سبق ذكره، ص ص 44-45.

[32]- المرجع نفسه، ص ص 46-47.

[33]- علي قسايسية، مرجع سبق ذكره، ص 51.

[34]- المرجع نفسه، ص 52.

[35]- المرجع نفسه، ص 229

[36] - http://alik.over-blog.org (consulté le 02/01/2012).

[37]- المرجع نفسه ، ص ص230-232

نسخة غير قابلة للطباعة